УДК 821.411.16

المقال الأصلي
Оригинальная статья
Original Paper

بين اللغة والوطن: قراءة في قصة "خواجا نزار" لموشيه سميلانسكي

علي محمد رشيد
جامعة بغداد
al_20_al2005@yahoo.com

Received: December 9, 2019	*Поступила в редакцию: 9 декабря 2019 г.*	*تم الاستلام في ٩ ديسمبر ٢٠١٩*
Reviewed: December 20, 2019	*Одобрена рецензентами: 20 декабря 2019 г.*	*تم التقييم في ٢٠ ديسمبر ٢٠١٩*
Accepted: December 23, 2019	*Принята к публикации: 23 декабря 2019 г.*	*تم القبول للنشر في ٢٣ ديسمبر ٢٠١٩*

الملخص

يهدف هذا البحث إلي معرفة معنى اللغة وتجلياتها في نتاجات الاديب الإسرائيلي الأكثر جدلا في القرن العشرين، إلا وهو الاديب "موشيه سيملانسكي". فقد طغت صورة العربي في الكثير من أعماله الأدبية وتبوات مكانا واضحا، وكانت النظرة تجاهه، نظرة واضحة أيضا، فصورته لم تتغير بتغير الظروف والاتفاقيات، بشكل يتناسب وهذه الظروف، وإنما بقيت تراوح مكانها، ولم تتبدل بنظرة احترام على الأقل، بل على العكس من ذلك، فهناك بعض المطالبات بإعادته إلى الصحراء، وتصوره بأنه شجرة بلا جذور، يمكن اقتلاعها في أي وقت. كانت نظرة سيملانسكي إلى العربي مختلفة عن باقي الادباء بفعل الظروف التي عاشها الاديب في بداية القرن العشرين، التي ألقت بظلالها على نتاجاته الادبية. لذا فان بحثنا هذا يركز على توظيف اللغة العبرية في وصف الوطن (فلسطين) في احدى قصص سميلانسكي، واظهار النتائج سواء الإيجابية منها والسلبية، مبينة الأبعاد الاجتماعية والنفسية في الواقع على الأرض وبلا رتوش كما وصفها الاديب.

الكلمات المفتاحية: *صورة العربي، لغة، قصة، خواجة نزار، موشيه سيملانسكي*

رشيد، علي محمد. (2020). بين اللغة والوطن: قراءة في قصة "خواجا نزار" لموشيه سميلانسكي. الدراسات العربية الأوراسية، ٩، ص ص ٢٩-٥٠.

للاقتباس: *رشيد، علي محمد. (2020). بين اللغة والوطن: قراءة في قصة "خواجا نزار" لموشيه سميلانسكي. الدراسات العربية الأوراسية، ٩، ص ص ٢٩-٥٠.*

МЕЖДУ ЯЗЫКОМ И РОДИНОЙ: ПРОЧТЕНИЕ РАССКАЗА М. СМИЛЯНСКОГО «ХАВАДЖА НАЗАР»

Али М. Рашид

Багдадский университет

al_20_al2005@yahoo.com

Аннотация

В данном исследовании изучается значимость языка и его проявления в произведениях самого противоречивого израильского писателя XX века Моше Смилянского. В его произведениях образ араба был представлен в ином виде, в отличие от других авторов, и этот образ никогда не менялся. Здесь, следует отметить, что взгляд М. Смилянского на арабов отличался от других писателей из-за обстоятельств, в которых писатель жил в начале XX века. Данные события наложили отпечаток на его литературные произведения. В заключение, данная статья также анализирует применение иврита для описания родины – Палестины в рассказе М. Смилянского «Хаваджа Назар» и показывает положительные и отрицательные результаты, отражающие социальные и психологические проблемы народа, описываемые автором в его произведении.

Ключевые слова: *образ арабов, язык, рассказ, Хаваджа Назар, М. Смилянский*

Для цитирования: *Рашид А.М. Между языком и родиной: прочтение рассказа М. Смилянского «Хаваджа Назар» // Арабистика Евразии. 2020. № 9. С. 29-50. (на арабском языке)*

BETWEEN LANGUAGE AND HOMELAND: READING THE STORY OF ”KHAWAJA NAZAR” BY MOSHE SMILANSKY"

Ali M. Rasheed

University of Baghdad

al_20_al2005@yahoo.com

Abstract

This study explores the significance of language and its manifestation in the works of the most controversial Israeli writer of the 20th century Moshe Smiliansky. Unlike other authors, in his works, the image of the Arab was presented in a different way and it had been unchangeable. It should be noted that the view of M. Smilansky on the Arabs differed from other writers because of the circumstances in which the writer lived at the beginning of the 20th century. These events affected his literary works. In conclusion, this article also analyzes the use of Hebrew to describe the homeland – Palestine – in the story "Khawaja Nazar" by M. Smilansky, showing positive and negative results that reflect the social and psychological problems of the people described by the author in his literary work.

Keywords: *the image of the Arab, language, story, Khawaja Nizar, Moshe Smilansky*

For citation: *Rasheed, A. M. (2020). Between language and homeland: reading the story of "Khawaja Nazar" by Moshe Smilansky. Eurasian Arabic Studies, 9, 29-50. (In Arabic)*

المقدمة

ونحن نبحث في ازمة الشباب اليهود المهاجرين الى فلسطين ابان عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، والتي حدثت تحت ظروف معقدة شهدتها فلسطين حينذاك، وفي ظل تقلبات سياسية واجتماعية المت باليهود ؛ لم نجد جنسا ادبيا يصف تلك الفترة من ناحية نقل الصورة والايضاح العميق لنفسية اليهود، سواء اكانوا من المهاجرين ام من اهل فلسطين، اكثر من النثر، وهذا ما يميز الادب العبري الحديث . الذي كان الاقرب الى الواقع، على الرغم من وجود الكثير من خيال فيه ؛ الا ان الواقعية كانت السمة الابرز التي امتازت منذ بداية الادب العبري الحديث بهذه السمة.

وهنا نحن نبحث عن ازمة حقيقية لفئة مهمة من المجتمع الاسرائيلي تشكل العمود الفقري له. من البديهي ان نقول ان ارتباط الادب بوصفة مراة عاكسة للحياة؛ كان مبررا وبلا شك وصفه للظواهر والتقلبات الحياتية والمشاكل الاجتماعية؛ حتى اصبح صورة الحياة المكتوبة والمؤثرة بطريقة مباشرة او غير مباشرة على حياة الانسان.

لذا فقد اضحى الادب راصدا لعالم الازمنة والامكنة ، والاحداث في حركتها ومسارها والتغيرات التي تطرا عليه ، ويرسم الخطوط الاساسية لتشكيل الاحداث بمعاني متعددة تبرز العالمين الخارجي والداخلي لرسم الشخصيات؛ هذين العالمين الذان بامكانهما الالتقاء والانفصال بواسطة حركة افعالهما المختلفة، والتي يحاول المؤلف ابرازها بشكل او باخر وفق المعطيات في الواقع.

ففي اغلب الاحيان يؤثر العالم الداخلي على العالم الخارجي، واحيان اخرى يكون العكس، حيث يؤثر الععالم الخارجي على العالم الداخلي للشخصية، وهنا تبرز الصراع الجدلي ما بين الانسان

وواقعه (الخارجي) او تصورها (الداخلي) في صراع لا يكاد يتوقف. واذا ما بحثنا في النتاج الادبي في الادب العبري الحديث؛ فاننا نجد انه قد استجاب لواقع الظروف والمواقف التي عاصرته؛ اذ كان متفاعلا مع البيئة والواقع الذي تاثر به الاديب العبري الذي كان يراقب عن كثب واقع اليهود محاولا ايجاد الحلول للظواهر السلبية التي رافقت اليهود في فلسطين. فقد اخذت هذه المشاكل السلبية حيزا غير قليل في الادب العبري الحديث على اختلاف مراحله وكتابته، لا بل تحولت لتكون اكثر جرأة، لا سيما بعد التحولات السياسية التي شهدها العالم انذاك، من الحرب العالمية الاولى، وسقوط الامبراطورية العثمانية ، فضلا عن الثورة في روسيا .... الخ. وسنحاول في بحثنا هذا التركيز على صعوبات المهاجرين الجدد، بوصفهم المحور الرئيس لعملنا هذا، وكيفية محاولة اندماجهم في المجتمع اليهودي الجديد.

المنهجية

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي المقارن؛ كونه أقرب المناهج الدراسة الموضوع، مع الاستفادة من المناهج الأخرى.

المبحث الاول ـ موشيه سيملانسكي

اديب وصحافي يهودي، ولد عام 1874 في اوكرانيا، هاجر الى فلسطين عام 1890 وكان من اوائل المستوطنين في مستوطنة رحوفوت. اكثر من الكتابة في الصحف العبرية المحلية والخارجية عن احوال الاستيطان العبري في فلسطين. اسس اتحاد المزارعين اليهود في فلسطين في الثلاثينيات وتولى تحرير جريدة هذا الاتحاد بعنوان (البستاني) . تعرض الى انتقادات شديدة من منظمة العمال العامة "الهستدروت" خاصة بدعوته الى العمل المشترك اليهودي – العربي. شارك في سلسلة من الاتصالات السرية مع زعماء عرب بمبادرة رئيس الجامعة العبرية في القدس (يهودا ماغنيس)، وكان من مؤيدي التقسيم واقام علاقات وطيدة مع وايزمان. وتوسع سيملانسكي في الكتابة عن العرب والبدو وعن الاستيطان. توفى في عام 1953 (Halkin, 1974).

بعد انتقاله وعائلته الى فلسطين، دفعته الصعوبات الاقتصادية والأمراض المتفشية فيها الى الانتقال إلى مستوطنة (ريشون لتسيون)، حيث كان يعمل فلاحا.ونتيجة للظروف الصعبة قررت الأسرة العودة إلى روسيا ، لكن الشاب سيملانسكي رفض. بعد الشفاء من المرض الذي اصابه، عاد إلى العمل وأصبح نشطًا في الحياة الثقافية للشباب اليهودي والمكتبة العامة، انضم الى الحركة الصهيونية وتحول الى ناشط فيها. في عام 1893 قام بشراء الأراضي في المستوطنات، واستقر هناك، وزرع كروم واللوز، وعمل في هذا القطاع، وفي أوقات فراغه، شارك في الكتابة والأشغال العامة والتدريس. جنبا إلى جنب مع زميله في التدريس (اليعازر مارغولين)، وقام بجولات استكشافية في فلسطين ؛ بهدف اختيار المناطق الافضل لاستقبال اللاجئين اليهود. وبعد عام ذهب إلى روسيا ليطلب من والديه الاموال، وعاد فورًا إلى المستوطنة. انضم سيملانسكي إلى جمعية بني موشي التي أسسها (أحد هاعام)، والذي ظل على اتصال مستمر به لسنوات عديدة، وشارك في أنشطتها التعليمية والثقافية والوطنية (Domb, 1982) .

في عام 1900 شارك سيملانسكي في انشاء "اتحاد المستوطنات"، وفي عام 1901 تم انتخابه عضوا في وفد للجنة (حوففي صهيون – احباء صهيون) في أوديسا وفي وقت لاحق من هذا العام لمقابلة البارون روتشيلد في باريس، بهدف المطالبة باموال لانشاء المستعمرات. وفي العام ذاته، أسس مصنع نبيذ صغير بهدف الاعتماد المنتج المحلي ، لكن المبادرة فشلت. وبعد زراعة أول بستان في المستوطنة في عام 1904، قرر سيملانسكي الانتقال إلى زراعة الحمضيات. في الوقت نفسه ، مع بداية الهجرة الثانية، استقطب سيملانسكي العديد من المهاجرين ، وقام بتوظيف الكثير منهم في البستان ومزارع العنب التي يملكها، على الرغم من أنه لم يوافق على موقفهم من "الاحتلال" (Dubnov, 2012).

في عام 1905 شارك سميلانسكي كمندوب في المؤتمر الصهيوني السابع في بازل، وهو الأول بعد وفاة بنيامين زئيف هرتزل. أثناء إقامته في سويسرا في عام 1906، وبعد تعافيه من العلاج الطبي ، كتب "الطيفة" باللغة العبرية ، التي نشرت لأول مرة في اللغة اليديشية ، ثم ترجمتها إلى العبرية بواسطة Hemda Ben-Yehuda. تابع سيملانسكي لنشر "قصص عربية" تحت اسم (خواجة موسى) في مجلة "Omer" التي شارك في تأسيسها مع سمحا بن صهيون وديفيد يلين (Magnes, 1947).

في ديسمبر 1925 ، قام 90 من مزارعي رحوفوت ، بمن فيهم سميلانسكي، بتقديم شكوى الى الشرطة ضد العمال اليهود لطردهم بعنف الكثير من العمال العرب من المستعمرة. ألقى الفلاحون باللوم على قادة الهستدروت في تحمل مسؤولية إثارة الكراهية بين اليهود والعرب وخطر السلام في البلاد، وطلبوا من حاكم يافا ، كامبل، اتخاذ خطوات جدية ضد العمال اليهود وقادتهم لحماية سلامة العمال العرب. رأى وزير الهستدروت، ديفيد بن غوريون، المذكرة "المراسل" والمؤتمر الزراعي الذي انعقد في أوائل فبراير 1926، وهاجم سميلانسكي ووصفه بأنه "مخبرخائن". رفع سميلانسكي دعوى قضائية ضده بتهمة التشهير في محكمة صلح تل أبيب. تم نشر الحكم في 3 مارس وقرر القضاة أن المذكرة كانت بالفعل "كلمة سيئة السمعة"، لكنهم حكموا أيضًا أن بن غوريون لم يكن لديه إذن لدعوته "مخبراً" ووجدوه ملزماً بالقانون(Ramras-Rauch, 1989) .

وشرع كلا من سميلانسكي وشريكه ميلر بعمليات الشراء في أراضي النقب عام 1932 بعد أن حثهم جوشوا هانكين إلى التعاون في شراء اراضي النقب ، لكن ميلر لم يوافق على شروط العقد. بموجب شروط العقد المبرم بين (Yeshiva Hachshara Company) و سميلانسكي، اضطر سميلانسكي إلى ايجاد وتوفير الأموال اللازمة لشراء الأراضي هناك، وتم تكليف شركة (Yeshiva)بمواصلة شرائها. وخلال جولاته في الشتات ، اكتسب سميلانسكي قلوب العديد من اليهود لاستثمار ثروتهم في شراء اراضي النقب. امتدت الأراضي التي تم الحصول عليها خلال تلك السنوات بشكل أساسي إلى شرق بئر السبع، إلى الجنوب الشرقي من بئر السبع إلى القرى البعيدة على بعد 27 كم جنوب شرق بئر السبع، وقام المهندس(ليبشيتز) بمسح جميع الأراضي وحرثها بشكل عام (Rolnik, 2012) .

وسعى سميلانسكي الى الاتصال بالوكالة اليهودية ، وفي الوقت نفسه دعم نشاط "تحالف السلام" لإقامة حكم ذاتي يهودي عربي تحت الانتداب البريطاني. في عام 1936 واصل سميلانسكي أنشطته في إطار) "The Five" مع Pinchas Rotenberg، و Gad Frumkin، و Moshe Novomyski، و .(Yehuda Leib Magnes في عام 1939، عشية الحرب العالمية الثانية ، سافر في مهمة المؤسسة الحالية إلى الولايات المتحدة ، وعاد من هناك عبر جنوب أفريقيا في عام 1940. في عام 1946، اشترك سميلانسكي مع Martin Bube ومذكرة "Union" التي قدمت قرارًا يقتضي بانشاء دولتين عربية واخرى يهودية إلى اللجنة الأنجلو أمريكية. لشئون ارض اسرائيل (Shaked, 1977).

كان سميلانسكي شريكًا في ذلك الوقت لجهود جمع الأموال لشراء الأراضي، وخاصة في النقب. في العام 1947، اشترى مع شريكه فريدي توفيا ميلر، 260 دونماً من مصر لإنشاء كيبوتس كفار الجنوبية ، التي تأسست بعد عام (Rolnik, 2012).

فاز سميلانسكي بجائزة "اوسيشكين" للادب عام 1949 على نتاجاته "في الهضبة" و "في الجبل والوادي". توفي موشيه Smilansky في عام 1953 في تل أبيب ودفن في مستوطنة رحوفوت، بعد ان اقيم له تشييع واسع النطاق حضره العديد من الشخصيات الصهيونية والادباء والفنانين. وتيمنا باسمه، تم تسمية موشاف (نير موشيه) تخليدا لذكراه (Dubnov, 2012).

ان شخصية موشيه سميلانسكي اثارت الحيرة لدى النقاد. فمن ناحية، كتب الناقد أفراهام إبشتاين في عام 1944، ان موشيه سميلانسكي رجل الأعمال، الخبير في التجارة، والمزارع، والداعية المقاتل، ومن ناحية أخرى - الراوي، والشاعر الرومانسي، والشاعر، هذا هو (خواجة موسى – اسمه بالعربي)، الشخص الذي قدمنا إلى مشاهد عن إسرائيل في الواقع، كانت مواقف واراء سميلانسكي السياسية موضع خلاف في كثير من الأحيان وانتقدت اليمين واليسار. إن الخطاب البلاغي الذي لا هوادة فيه حول مقالاته وهجماته على شخصيات رجال الدين والمعايير المقبولة ومؤسسات اسرائيل الرفيعة قد ساهمت في تكوين صورته المثيرة للجدل. ولكن أكثر من ذلك، ساهم ولائه لمبادئه - أو عدم اتساق عمله، كما يرى منتقدوه - في هذا التناقض حول الانتماء الحزبي أو الأيديولوجية الجماهيرية للمجتمع الصهيوني: من علاقاته الوثيقة مع اعضاء حزب " هبوعيل هتساعير " وهو يملك العديد من البساتين، ونشاطه في المنظمات السياسية "بريت شالوم" و "الاتحاد" اثناء قيامه ومساهماته الكبيرة في شراء الأراضي في النقب للمستوطنة اليهودية (Shaanan, 1978).

وعلى النقيض من ذلك ، فإن العمل الأدبي لسميلانسكي هو مختلف تمامًا، في حين أن وجهات نظره ومقالاته يُنظر إليها على أنها مناهضة للمشروع القومي الصهيوني، فغالبًا ما كانت القصص تُقرأ ببساطة في تأملات، ناهيك عن المعايير والأفكار الصهيونية المعتادة. اذ يقرأ معظم النقاد القصص ثنائية الأبعاد على أنها "اشكالية إيجابية وليست لها أي انتقادات نفسية أو انتقادية أخلاقية، لا خيال جمالي ولا اعتراض فكري، ولكن حكم النور على الظل والتهمة على النفي". ولذا فان

اغلب النقاد منذ (يوسف حييم برينر) وحتى (عاموس عوز) يرون بقصص سيملانسكي تاييد مطلق على قيم الاستيطان الصهيوني. هذه كانت مهمة للإنسان في عينيها [من هذا الأدب] ورسمت الرجل كما لو كانت هذه القيم ملزمة التنفيذ'. في السنوات الأخيرة، تركز اهتمام الزوار على المجموعة القصصية لسيملانسكي "العرب"، التي تعد من افضل مؤلفاته على الاطلاق، لكنهم أيضًا قرأوا بالمثل، يرى النقاد الأدبيون هذه القصص عمومًا دليلًا إضافيًا على عجز سيملانسكي أو الرغبة في دراسة الإيديولوجية الصهيونية ومشروع الاستيطان. في إسرائيل، بشكل حاسم (Aour, 1972). وهذا ما سنتطرق اليه في بحثنا هذا.

المبحث الثاني ـ قصة "خواجة نزار"

وهي واحدة من قصص سيملانسكي المشهورة، و تنضوي هذه القصة ضمن مجموعته القصصية "العرب"، نُشرت في الصحيفة الناطقة باسم الحركة الصهيونية "هاعولام – العالم" عام 1910 باربعة اجزاء، ونشرت بعد ذلك – على ما يبدو – في جميع مؤلفاته الادبية في فلسطين. وتكشف هذه القصة عن شخص يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمستوطنة اليهودية. بالنسبة للعديد من النقاد، تعتبر هذه القصة واحدة من النماذج الأولية للشخصية الإسرائيلية الجديدة والتي سبقت رواية موشيه شامير "أليك ولد من البحر". ومع ذلك، يبدو لي أنه لا ينبغي النظر إليها على أنها تمثيل أحادي الجانب للأيديولوجية الصهيونية. هذه ليست قصة تحقيق وإدراك صهيوني، وإنما هي قصة نقدية عن الأسطورة الصهيونية المتمثلة في إنشاء مواطن جديد – مواطن يهودي صهيوني - في أرض إسرائيل. الكل في الكل، لا تملك قصة الإيمان بإمكانية تغيير اليهودي القديم المنفي وتحويله إلى اليهودي القومي الجديد؛ إن مسألة ما إذا كان خواجا نزار يستطيع فعلاً أن يكون نموذجًا لليهودي القومي اليهودي لا يزال مفتوحًا في نهاية القصة.

تستكشف قصة سيملانسكي أسطورة اليهودي الجديد من خلال النظام الأيديولوجي الذي طورته في المقام الأول شبيبة الهجرة اليهودية الثانية الى إسرائيل وهو نظام أيديولوجي كانت شعاراته هي السيطرة على الاعمال واحتلال الحراسة. هذا النظام الأيديولوجي، الذي تأثر بالحركات الاشتراكية في روسيا في ذلك الوقت من ناحية، والمذابح في روسيا في أوائل القرن العشرين من جهة أخرى، تعارض مع النظرة العالمية للموجة الأولى من المهاجرين، التي شكلتها الفئات الدينية والقيم البرجوازية. وتناقضت النظرة العالمية المتناقضة للموجة الأولى والثانية للهجرة ، من بين أمور أخرى ، مع الاستيلاء على أرض فلسطين إلى محيط وطني وعلاقتها بالعبرية بلغة قومية. هاتان المسألتان ، أود أن أقول، هما في مركز قصة (خواجة نزار).

فيما يتعلق بقضية الأرض، اعتقد المستوطنون في الموجة الأولى من الهجرة أن حقهم في الأرض في إسرائيل قد تثبت بكونه هدفا قوميا لا يمكن إنكاره مطلقا، وأنه كان متأصلًا في الوعد الإلهي والحقوق التاريخية للشعب اليهودي، ولم يتمكن مهاجرو الموجة الثانية من الوصول إلى هذا الهدف. في خضم وجهات النظر بين الاطراف اليهودية اصروا بأن الحقوق التاريخية تمنح الحق في السيطرة على الأرض فقط، في حين أن الحق في الاحتفاظ بها يتحدد في نهاية المطاف من

خلال العمل فيها. وربطت قصة سيملانسكي مسألة الأرض ليس بفكرة الاحتلال بل بقضية اللغة (Rama-Ranch, 1989).

في وقت نشر القصة ، كان موضوع اللغة بشكل خاص يعد اشكالية بحد ذاتها.اذ اندلعت التوترات العقائدية داخل المستوطنة الوطنية في فلسطين وبينها وبين المستوطنة القديمة في أوائل القرن العشرين في النضال من أجل اللغة المستخدمة في المؤسسات التعليمية اليهودية. كان سبب هذا الصراع لغة التدريس في النظام التعليمي الاسرائيلي ، لكن آثاره كانت أكثر انتشارًا.فقد كانت اللغة العبرية هي هدف الصهيونية وحركة الاحياء القومي اليهودية ؛ بينما كانت المجتمعات التقليدية تتحدث اليديشية واللادينو، وكانت الثقافة هي لغة الحكومة ، واللغة العربية – هي لغة المجتمع الغير اليهودي واليهود العرب. بينما يتحدث المهاجرون اليهود الروس الذين جاءوا بأعداد متزايدة في عام 1881 يتحدثون أساسًا اللغة الروسية واليديشية ، وخلافا لهذا كله كانت اللغات الرئيسية للتعليم في المدارس هي الفرنسية والألمانية. ومع ذلك ، بدات ظهور أصوات أكثر وأكثر تطالب بجعل العبرية هي اللغة الرسمية في إسرائيل. كانت حرب اللغات ، التي وقعت بين عامي 1914 و 1913، تتويجا للنضال من أجل صورة مستوطنة يهودية وطنية في إسرائيل. إن قرار مجلس أمناء التعليم في (فبراير 1914) بأن لغة التدريس في المؤسسة ستكون باللغة العبرية تشير إلى انتصار كبير على اللغات الأخرى التي كانت شائعة بين المستوطنين الصهاينة (Dom, 1982).

على الرغم من أن الأحداث التي ترويها قصة "خواجا نزار" هي على الأرجح في التسعينات من القرن التاسع عشر، إلا أن الموضوعات التي تتناولها القصة – العمل والحراسة وشراء الأراضي – تعكس بالضبط النقاش العام في زمن نشرها. حيث توضح مناقشة هذه القضايا أنه لا يوجد أي أساس لادعاء النقاد بأن سميلانسكي كان كاتبًا ساذجًا قديمًا وتجنب في قصصه عرض أيديولوجيات واوضاع حصيلة القتلى التي احتلت الموجة الأولى من الهجرة التي اعتلت مركز الصدارة في الاعلام. على العكس من ذلك، فإن قصة سميلانسكي هي في قلب النقاش العام حول الفترة التي تم نشرها فيها وتعبر عن موقف أيديولوجي ربما أكثر مما يظهر في مقالاته خلال تلك الفترة.

في الحقيقة خلقت قصة "خواجا نزار" المقارنة بين الصراع من أجل احتلال فلسطين كأرض قومية والنضال من أجل نشر اللغة العبرية كلغة وطنية. ومع ذلك ، فإن القصة تظهر جزء لا يمكن التغلب عليه من الأرض واللغة. يثير هذا التوتر أسئلة جذرية حول العلاقة بين اللغة والواقع، وبين نقل الحقيقة في اللغة والصور المركزية في الخطاب القومي الاسرائيلي . ويشير الناقد "يجئال شفريتس" الى محاولة الثقافة العبرية – وبضمنها الادب العبري في مستهل القرن العشرين – للتغلب على الصدع اللغوي العبري، ويضيف هناك الكثير من المحاولات الادبية التي قارعت وناضلت من اجل احياء اللغة؛ بيد انها قد فشلت فشلا ذريعا في نهاية المطاف (Schwartz, 2007)

وتدور احداث هذه القصة عن شاب يدعى "لازار" وهو يهودي مهاجر من روسيا، وابن اب يهودي وام مسيحية، تاثر بافكار الصهيونية بعد قراءته لافكار هرتسل ونرداو، فضلا عن التوراة

المترجمة الى الروسية، وخصوصا الاحداث التاريخية حيال المعارك حول نهر الاردن، والتي يتخيلها مشابهة لنهر الفولغا، التي تربى على ضفافه، ليصبح مهاجرًا إلى مستوطنة في فلسطين، وفي غضون فترة زمنية قصيرة جدًا يصبح مستوطنًا مثاليًا – فلاح نشيط وحارس – يحترمه الجميع، اليهود و العرب، والاسم "خواجة نزار" قد اسموه العرب الذين يحبونه، ويعتبرونه احدهم. بعد أن يتجذر في مستعمرة لازار ويذهب الراوي في رحلة إلى الأردن.و يشعر لازار بخيبة أمل عندما يرى نهر الأردن للمرة الأولى، ويتحدى النهر، الذي هو مجرد تيار صغير، يقفز فيه. يتنافس في التيار ويغوص فيه ، حتى يغرق في النهاية. في نهاية القصة، يطفو جسده على ضفة النهر، بعد أن رفض أعضاء قاديشا دفنه بأي شكل من الأشكال لكونه غرلا وغير متعاطف مع العرب.

صعوبات اللغة العبرية في نظر المهاجرين الجدد

من الصفحات الاولى للقصة، يلمس القارئ ان الكاتب لا يكتب من أجل الكتابة، وانما رغبة في معالجة موضوع اجتماعي معقد. و يقوم بوصفه وعرضه بدقّة وحذر، اذ اجمع مستلزمات الموضوع ليصبها في قالب قصصي يقوم على موضوعين: الإشكالية الاجتماعية لليهودي المهاجر، وأثر الهجرة والاغتراب له في وسط المجتمع العربي.

احتوت الهجرة الثانية على مجموعة من اليهود الصهاينة الذين يملكون ايدولوجية قوية تستند الى وصايا مؤتمر بازل . كان هدف هذه المجموعة المثقفة احياء اللغة العبرية بشتى الوسائل، عن طريق فرض التحدث باللغة العبرية بين اليهود ، اقامة مؤسسات تعليمية تعنى بها، اقحام المفردات والكلمات الاجنبية لسد النقص فيها ... الخ. ولكن بعد ان ظهرت موجة من الانكسارات في الحلم الصهيوني تمثلت بموت هرتزل ؛ الصراع على سدة الحكم في زعامة الصهيونية والانشقاقات والانقسامات الكبيرة ، خيبة الامل من الثورة الروسية عام 1905 . ولكن في عام 1907 تنفس الصهاينة الصعداء بعد ظهور امل جديد ؛ فقد اشترى الكثير من اليهود الاراضي في (الخليل)، وهنا توجهت الانظار الى هذه المدينة لانشاء وحدات سكنية، وشرعوا بانشاء اول مستوطنة عام 1909 قرب بحيرة طبريا ، وهنا بدات الجهود في تعليم اللغة العبرية واعادة احيائها.

فبعد أن اختفت العبرية وماتت مع السبي البابلي (٥٦٧ ق.م) عادت إلى الظهور على أطلس اللغات في القرن العشرين. وكان معظم الوافدين إلى فلسطين المحتلة يجهلون العبرية إلا أن التخطيط اللغوي هنالك عمل على جعل هذه لغة رسمية (Rashid, 2018).

ويحتل الصراع من أجل العبرية، كما ذكرنا بالفعل، مكانة اساسية في قصة "خواجة نزار". تقع العبرية في قصة في مجتمع متعدد اللغات. هذا واضح بالفعل في الصورة الافتتاحية: إن المستوطنين اليهود في مستعمرة مجهولة الهوية في أرض إسرائيل، ليست بعيدة عن يافا، يشعرون بالفزع بسبب محنتهم ليلة السبت لسماع صوت البنادق. إنهم يشكون في أن العرب على وشك مهاجمة المستعمرة أو انهم يريدون الانقضاض على الركاب، ولذا توجهت مجموعة من

المستوطنين إلى المكان الذي سمع صوت الطلقات. ويتفاجاون بوجود رجل واحد دون أي اصابة:

"מה זה ?

שאלתי ערבית ולחצתי בידי את הרובה עמדה גם 'הבדיה כחמישים צעד ממני ומעלה.

- מי אתה?

קול מדבר רוסית... שמע מינה עברי.

- עברי...

קראו בחדווה קול אחד כל חברי, וכעבור רגע סבבנו כולנו את האיש הזר ונעצנו בו את עינינו,

- עברים?... מן המושבה?...

שוב דיבר האיש רוסית, בקולו נשבעה נעימה של ספק. קולו היה קול עב היוצא מעומק הלב מבטאו הרוסי – נקי, טפוסי.

- עברים אנחנו, עבדים! - ענו אף חברי רוסית". (Smilansky, 1947)

ما هذا ؟

سالت باللغة العربية ومسكت البندقية بيدي ووجهتها نحو الشخص الذي يبعد عني اكثر من خمسين خطوة

من انت ؟

صوته يتحدث بالروسية .... تفوه بكلمة عبرية

عبري ....

بصوت واحد ، صرخ أحد أصدقائي بصوت عالٍ ، وبعد لحظة تحولنا جميعًا إلى الرجل الغريب وحدقنا به باعيننا ،

يهود ؟ .... من المستوطنة ؟....

وتحدث الشخص ايضا بالروسية مرة اخرى ، وبصوته نبرة شك . فصوته كان صوتا نابع من الاعماق ، ولفظه الروسي – صافي ورائع.

واجابه احد اصدقائي : " نحن يهود عمال ".

يوضح لنا المقطع السابق عن وجود ثلاث لغات إن لم تكن أربع. لغة النص المكتوب هي العبرية، لكن كما أصبح الأمر واضحًا بالنسبة لنا، فهي ليست بالضرورة اللغة المنطوقة للمستوطنين، فهناك فجوة بين اللغة الأدبية التي تُبلغ بها الأحداث، واللغات التي تتحدث بها – العربية، حيث يُطرح السؤال الأول، والروسية، بمجرد أن تتضح هذه هي لغته من الرجل الأجنبي. بالنسبة لهذه اللغات، يمكننا إضافة اللغة اليديشية – المصطلحات اليهودية، وهي شائعة بين معظم المستوطنين اليهود – على الرغم من أنها لم يرد ذكرها صراحة في النص. والعبرية من اللغة الأدبية، ولكن أيضا هي اللغة الوطنية، تتوسط بين كل هذه اللغات وتخلق مساحة مشتركة للجميع، هي مساحة القصة،

وعلى الرغم من أن اللغتين الروسية والعربية هما اللغتان المشتركتان لسكان البلاد كما تصورها القصة، والتي تبدأ باضطراب لغوي، وهو الارتباك الذي رفضته العديد من الإيديولوجيات اليهودية الوطنية وتطلع إلى التغلب عليه.

يمكن تعلُّم الوضع العبري الخاص في القصة من حوار لاحق بين الراوي ولازار، وهو الرجل الأجنبي الذي يظهر في الصورة الافتتاحية. لا شك في أن اللغة العبرية هي اللغة التوراتية القديمة، لكن الانتقال منها إلى اللغة المنطوقة المعاصرة، على الأقل وفقًا للقصة ، ليس بسيطًا وسهلا. يسعى الراوي لإقناع لازار والقارئ معه بأن اللغة العبرية يمكن أن تصبح بالفعل لغة منطوقة. عندما يسأل لازار:

"האם תוכל השפה הביבלית להיות בכל השפות? האם אפשר גם לדבר בה?" (Smilansky, 1947)

"هل يمكن أن تكون اللغة التوراتية بجميع اللغات؟ وهل يمكن التحدث بها ؟ " أجاب الراوي:

"כן אפשר גם לדבר בה. פה בארצנו ישנם רבים המדברים עברית. בהרבה בתי ספר מלמדים גם דברי מדע בעברית'" (Smilansky, 1947).

" نعم، يمكنك أيضًا التحدث فيها، فهنا في بلادنا يوجد الكثير من المتحدثين بالعبرية؛ حيث تتحدث اغلب المدارس بالغة العبرية".

يؤكد هذا الحوار على أن اللغة العبرية ليست فقط اللغة المنطوقة للشخصيات في القصة ، ولكنها لا تؤدي بعد العديد من الوظائف اللغوية في الحياة اليومية (تمزج أيضًا مع كلمات العلوم العبرية). على الأقل في هذه المرحلة، تعتبر اللغة العبرية كلغة وطنية قاعدة سلوكية، لكن المستوطنين اليهود لم يتحققوا بعد في الواقع، وهي موجودة فقط كروح يوتوبيا.

كلغة أدبية، ان وجود اللغة العبرية غير مؤكد ويشير إلى وجود فجوة بين اللغتين المطبوعة والمحكية. من ناحية في اللغة المكتوبة والمطبوعة، يقدم النص نفسه كمكان تم فيه تحقيق المثل الأعلى لتعليم العبرية كلغة تفي بجميع الوظائف اللغوية. من ناحية اخرى، لا تزال الكتابة العبرية في النص مقصورة على اللغة المكتوبة ولا تؤدي وظائف لغوية مهمة. وهنا تكون الفجوة: الإدراك المادي للغة العبرية في النص المكتوب – غياب اللغة العبرية في كونها لغة منطوقة؛ ادى الى تعالق النص بين الواقع والخيال، بين الحاضر والماضي، في محاولة لسد الفجوة .

ويتحول لازار بطل القصة من غريب بعد فترة وجيزة من وصوله إلى المستعمرة، المستوطن الصهيوني المثالي، اذ تكيف على الفور مع العمل البدني وقام بتادية المهام العسكرية، ويتفوق في عمله وبروحه. يبدو أن لازار أصبح رمزًا للمستوطن الصهيوني المثالي عندما يتلقى في النهاية مبلغًا من المال يحتاجه لشراء قطعة أرض – صورة وطنية كبرى للإحياء الوطني وتفاني أرض إسرائيل بوصفها وطنا قوميا يهودي، يدرك لازار الطموح القومي اليهودي المعروف: إنه يحول نفسه إلى مواطن إسرائيلي ، ولد في أرض إسرائيلية.

وصاح بإثارة: **"בן הארץ אהיה לעולם!'** (Smilansky, 1947).

"ساكون ابنا هذه الارض الى الابد! "

وفي المقابل، ان تعلم العبرية هي معضلة كبيرة في نظر لازار ، لا بل اصعب من الواجبات الصهيونية الاخرى . وعلى الرغم من محاولاته الكثيرة الا انه ما يزال يعاني من اللفظ واللغة الجديدة:

"מה מגוחך היה צלצול המלים העבריות בפרד! עברית במבטא הסמראי"
(Smilansky, 1947)

"ان الامر المضحك هو نبرة الكلمات العبرية المفردة ! عبرية بلفظ سومري".

تبدو اللغة العبرية صعبة عند لازار، الامر الذي تسبب له بالسخرية من قبل أصدقائه وأعضاء المستعمرة الآخرين، ولا يسع المرء إلا أن يتساءل عما تدور حوله هذه الملاحظة في سياق مجتمعي لا يوجد فيه لهجة أصلية للغة، على الرغم من هذه الغيرة العظيمة، فإن هذا الساموراي يشعر بالغيرة من الخطاب العبري أكثر من اقرانه جميعًا". ومع ذلك، فإن هذه الغيرة من جهة ولهجته الاستثنائية التي تؤكد على الصوت المختلف عن لفظ باقي المستوطنين. فقد تميز لازار عن المستوطنين الآخرين بلفظه الروسي الغليظ، على الرغم من أنه قد عاش في المستعمرة. وعمل جاهدا لشراء الأرض لنفسه.

ويتم تشبيه لازار كالسنبلة. ففي القصة التوراتية في سفر القضاة، ينظر قضاة رجال جلعاد الذين يقاتلون إفرايم إلى يسيطرون على المعابر الأردنية. لمعرفة اعدائهم كانوا يستخدمون كلمة "سنبلة" ككلمة سر، لذا كل من يرغب في عبور الأردن يقول "سنبلة"، لأن أبناء إفرايم غير قادرين على نطق س. وبدلاً من ذلك يعبرون عن ش." كما سنرى أدناه ، فإن عبور الأردن له أهمية قصوى في قصة سميلانسكي.

لقد ابرزت دراسات كثيرة تناولت صورة العربي في الأدب العبري الحديث ، بعد مجيء الكثير من المهاجرين اليهود إلى فلسطين ويمكننا القول إن صورة العربي قد بدت لدى معظم الكتّاب اليهود الغربيين نمطية وسلبية على الأغلب. ويعود ذلك إلى عدم معرفة هؤلاء الكتّاب بعادات وتقاليد ونمط حياتهم. وقد انسحب هذا الموقف عموما على الطوائف اليهودية العربية وكان سببا في تدني النظرة إليهم. ولذلك أحس الأدباء الشرقيون بالحيف الذي لحق بتراثهم ومكانتهم فبادروا بالكتابة عن طوائفهم وتصحيح التشويه الذي اصابهم (Rasheed, 2018).

على الرغم من تعثره في تعلم العبرية ؛ الا انه اتقن العربية بسرعة ؛ فضلا عن معرفته بالثقافة العربية ايضا:

"וגם הערבים אהבוהו על גבורתו, על למידה במהרה לדבר ערבית צחה, על ידעו לרכוב על סוס דוהר כאחד מהם, ולא אחת ולא שתים יצא להתחרות עם בחורי הערבים במרוץ הסוסים. ברכבו היה לבוש כאחד מהם: עביה, כפיה ועגל, ומזוין היה במוהם מכף רגל ועד ראשו. שם 'חוג'ה נזר' היה תמיד לתהילה בפי הערבים. שבחר הגדול ביותר בפיהם היה: כמוהו כמיונו... אבן ערבי" (Smilansky, 1947).

واحبه العرب أيضًا على شجاعته، و تعلمه التحدث باللغة العربية بطلاقة، ومعرفة كيفية ركوب الحصان كواحد منهم، ولم يخرج واحد أو اثنين من اليهود للتنافس مع الفرسان العرب في سباق الخيل. كان يرتدي نفي الزي خاصتهم: عباية ، عقال وشماغ، وكان مسلحا من الرأس إلى أخمص القدمين. كان اسم "خواجة نزار" كان دائمًا بمثابة اطراء من قبل العرب. فقد كان في نظرهم لهم: عربيًا مثلهم".

ان لغته العربية الفصحى التي تتفق بالضد من عبريته الضعيفة، هي بمثابة تمييز فاصل بينه وبين العبرية ، فضلا عن عاداته العربية التي جعلت من الصعوبة التمييز بينه وبين الشباب العرب، يبدأ استيعابه في العالم العربي في بداية القصة، عندما دعاه أحدهم أثناء لقاءه الأول مع العرب، خواجة نزار، وهو مضطرب اسمه "لازار". حيث يحل الاسم العربي محل اسمه الحقيقي طوال القصة، لكنه يظل غريبًا في النص العبري – ويشير إلى غرابة لازار بالنسبة للمستوطنين اليهود الآخرين. بدلًا من استيعابه في الإرث القومي اليهودي الذي ينتمي اليه، وهكذا بقي خواجة نزار غريبا ومنبوذا من اقرانه وجيرانه اليهود.

لا يقتصر اليهود في الثقافة العربية بالطبع على التعبيرات الأدبية، وقد بذلت عدة محاولات لاحتضان الثقافة والممارسات البدوية، ولكن هذه المحاولات كانت مصحوبة أيضًا بنهج مزدوج للثقافة. تبنى اليهود المستعمرون الشباب في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين التقاليد البدوية: ركوب الخيل، واستخدام الأسلحة والملابس البدوية، بينما كان المزارع اليهودي ذو الشعر الأحمر، الذي تعتمد أسرته في معظم المستعمرات على العمالة العربية، يلجأ غالبًا إلى العرب. إن أكثر المحاولات المعروفة لاحتضان الثقافة البدوية، بالطبع، هي منظمة "هاشومير – الحارس"، وهي منظمة للدفاع عن الوجود اليهودي في فلسطين تأسست عام 1909، وكان هدفها الرئيسي هو حراسة بناء المستوطنات. لقد رأى افراد حركة هاشومير في ظهور رجل حر وشجاع يشبه "رعاة البقر الامريكيين" في أرض إسرائيل، قادما من روسيا. في شباب المستعمرات وفي الحرس، كان اعتماد الرموز الثقافية الشرقية جزءًا من جهد كبير لتأكيد وجود اليهود وتفوقهم القومي ضد البدو والسكان العرب الريفيين. خاصة في حالة رجال الشرطة، لا ينبغي وقف اقتطاع الثقافة البدوية من الكفاح العسكري من أجل السيطرة على فلسطين.

وتنبع هوية الخواجة نزار من القومية اليهودية الكائنة بالبيئة والمناظر الطبيعية الإسرائيلية. هذا التعريف، مثله مثل الأحداث الأخرى في طابعه، يجعله يبدو مشابهاً للعرب ومعارض للمستوطنين اليهود الآخرين في القصة، الذين لا يشعرون مطلقًا بالغربة من البيئة حولهم، لكن هذا التعريف أيضًا يميزه ويسبب له الازعاج ايضا وهو ضمن العرب، لأن البيئة التي ينتمي اليها نابعة من البيئة اليهودية:

"אבל יותר מן העבודה, בין הרכיבה ומן הדבור העברי אהב את הארץ, בה היה הוגה תמיד ומדבר עליה מתוך אהבה ומתוך התרגשות יתרה. כשדבר על הארץ, נדמה לי שנפשו מפרכסת בו ויוצאת מתוך געגועים. נראה היה, כי אין מלה בפיו להביע את

אשר בלבו, כי נוגע הוא בארץ כנגוע בדבר שבקדושה, – בתוך זהירות יתרה ומתוך חבה יתרה. ככה נוגע היהודי האחזק ב'ספר התורה [...] והנקודה הקדושה ביותר בארץ-ישראל היתה בשבילן – הירדן. בכל פעם שהיה מבטא את השם 'ירדן' – נדמה לי כאילו "שם המפורש יוצא מפיו " (Smilansky, 1947).

"ولكنه احب فلسطين أكثر من العمل، بين الركوب والكلام العبري، حيث كان دائمًا مفكرًا وتحدث عنها بحب وبدافع من الإثارة. وعند الحديث عن البلد، يبدو لي أن روحه ضيقة به و الكلام يختفي من لسانه من شدة الشوق. يبدو أنه لا توجد كلمة في فمه للتعبير عما كان في قلبه، وأنه كان يلمس الأرض كما لو كان يلمس شيئا مقدسا – بحذر شديد وبقدر كبير من المودة. هذه هي الطريقة التي يحمل بها اليهودي كتاب التوراة [...] وكانت النقطة الأكثر قداسة في فلسطين بالنسبة له – الأردن. كلما نطق باسم "الأردن" – يبدو لي أن "الاسم الصريح "يخرج من فمه" .

و تحتل اللغة بشكل عام واللغة الدينية بشكل خاص مكانة اساسية في القصة من خلال إنشاء التجربة اليهودية الصهيونية ووصفها للبيئة والمناظر الطبيعية. يبدو أن التجربة الصهيونية ليست مفهومة تمامًا إلا من خلال المقارنة بالتجربة الدينية كما يتم التعبير عنها في اللغة وفيما يتعلق باللغة في النصوص المقدسة و "الاسم الصريح". بينما تحل التجربة الوطنية العلمانية محل التجربة الدينية ، فإن اللسان ينقل القدسية من الاوامر الإلهية إلى الارض.

إن حب خواجة نزار لفلسطين نابعة من الكتاب المقدس، والذي يكشف عن المكان التوراتي من خلال قراءة النص القديم، لكنه لا يستطيع قراءة النص بلغته الأصلية؛ بدلاً من ذلك يقرأه باللغة الروسية، وهنا يتم الكشف عن إحدى المشاكل الرئيسية في مشكلة الترجمة. العناصر الوحيدة للنص الأصلي غير القابل للترجمة، والتي لا تزال تجهل النص الروسي، هي العناصر الأساسية للغة، أسماء المواقع والأماكن، هذه الاسماء اثارت خواجة نزار شعور الشوق الى السفر لها وخصوصا الى فلسطين.

"קראתי והרגשתי כי איזה דבר כביר קם והתעורר בתוך לבי, בלבי פרחה פתאום אהבה אל הכרמל, אל הירדן... באילו קרוב אני אליהם... ורוח של גאוה דתעורר בי ואתגאה, כי לנו הם, לי ולעמי. ואוהב את הירדן יותר מן הוולגה. כמה יפה היא מלה זו: י-ו-ד-ז'... כמה נאה צלצולה" (Smilansky, 1947).

لقد قرأت وشعرت أن شيئًا عظيمًا قد نشأ في قلبي، وفجأة نشا في قلبي حب جبل الكرمل، ونهر الأردن، ازدهر ... كم أنا قريب منهم ... وروح من الفخر أيقظتني، فخورة بنا لاننا نملكهم، أنا وشعبي. واحب الأردن أكثر من الفولغا. كم هي جميلة هذه الكلمة: ا ... ر ...د...ن ... كم هي جميلة نغمة الرنين لهذه الكلمة".

ولم يعشق خواجة نزار هذه الاماكن فقط ؛ بل اللغة ايضا، بنبرتها وكلماتها، و لفظ اسماء الاماكن المقدسة كما في المثال السابق في "الاردن" .لذا فان هذه الفقرة تمزج بين الوعي الوطني واللغة والجمال. لكن ما تفتقر إليه هو اتقان اللغة. الذي يعد الجانب السلبي المحدد في نهاية المطاف مسار

القصة ؛ والتي هي المواقع الجغرافية الفعلية. التجربة الحقيقية للغة هي التجربة التي تحدد الولاء الوطني لخواجة نزار، والذي يميزه عن العرب ابناء فلسطين. علاوة على ذلك، تمت ترجمة هذه التجربة بسرعة إلى وعي قومي بضرورة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، بوصفها ارضا لليهود – كما تزعم الصهيونية – وارجاع الحق التاريخي المفقود منذ قرون .

تتجذر قومية خواجا نزار وحبه لفلسطين في اللغة، لكن عندما يقرأ الكتاب المقدس في الترجمة، يشعر بالبعد بينه وبين المساحة التي يبحث عنها. بين التوراة المترجمة للروسية والتوراة بنصها الاصلي. في إطار جهوده لإثبات هوية أكثر أصالة، والاندماج في البيئة اليهودية القومية ، يصر خواجة نزار على تعلم اللغة العبرية، وترجمة ترجمة التوراة الروسية وارجاعها إلى لغته الأصلية. الترجمة في هذا السياق تعني أكثر من الترجمة، ويتحدث خواجة نزار عن وطنه قائلا:

"פניו האירו באיר רב של אושר. לשונו, אשר דברה בכבדות, כאילו הותרה כאסוריה. בלשון קלה, שוטפת ונטלצת, התחיל לספר לי על יפי הוולגה: מה רחב הנהר, מה בהירים וכבירים מימין - נהר-ים!... יש אשר לא תתפוס העין את עבר החוף השני. [...] ופתאום עלתה על לבי מחשבה: מה עושה כאן זה, המדבר על הוולגה, כאוהב המדבר על אהובת לבר? זה אשר לשונו הרוסית ומבטאו הטפיסי בהדגשת ה'ס' מלאים רוח העם הרוסי וריח השדות הרחבים והיערות העבותים אשר לו?" (Smilansky, 1947).

توهج وجهه فرحا. يبدو أن لسانه ، الذي كان يتحدث بتثاقل، قد تحرر. في لغة واضحة ، بطلاقة، بدأ يخبرني عن جمال نهر الفولغا: على امتداد النهر، ما اكبر واوسع و أكثر إشراقًا وأقوى على اليمين - نهر بحري! ... في بعض الاحيان لا يمكنك مشاهدة الجانب الاخر منه[...] وفجأة خطرت ببالي فكرة: ما الذي يفعل هنا، هذا الذي يتحدث عن نهر الفولغا ، كما لو كان عاشقا يتحدث عن حبيبته؟ الشخص الذي لغته الروسية ولهجته الميتافيزيقية الذي يضخم حرف "S" مملوءة بروح الشعب الروسي ورائحة الحقول الواسعة والغابات المورقة؟ .

إن ذكريات مناظر طفولته الطبيعية تسمح لسان خواجا نزار، فقد اصبح كلامه متماسكًا ولا يقاوم، ولغته مليئة بالتجربة الروسية، من تجربته الروسية وبالطريقة نفسها يحاول خواجا نزار التحدث عن المناظر الطبيعية وأرض إسرائيل ؛ على سبيل المثال، يتخيل نهر الأردن في شكل نهر الفولغا

"ממלא את כל גדותיו, ומימיו מכים גלים, גלים. מקום שם מימיו מכסים את פני כל הארץ" (Smilansky, 1947).

تملأ جميع الفيضانات ، وضربت مياهها موجات ، وموجات. مكان حيث تغطي مياهه الأرض كلها "

لا يتم تقديم صلة خواجة نزار الخاصة بالأرض الإسرائيلية كتجربة تنشأ من الدعاية الصهيونية، ولكن كمسألة لغوية، كترجمة من الروسية الى العبرية؛ علاوة على ذلك، تبرز القصة عدم التوافق بين لغته وتجربة الاستيطان في فلسطين، وعدم القدرة على التعبير بلغة واحدة عن تجربة تتعلق بالبيئة الغريبة والخارجية، وتفشل اللغة الروسية التي تنقل بأمانة تجربة المشهد الروسي، تفشل في

نقل تجربة المشهد الإسرائيلي. وهكذا، فإن الهوية القومية لخواجة نزار على الرغم من اتقانه اللغة العبرية والعربية وكذلك العادات والتقاليد العربية؛ الا انه لا يزال غريبا عنها، فضلا عن لغته الروسية الأم.

طوال القصة يرفض الخواجة نزار الاعتراف بوجود فجوة بين النص التوراتي الذي يقرأه في "اللغة الروسية" وواقع أرض فلسطين. يبدو أن هذا الرفض نابع من حبه للكتاب المقدس في نظر النقاد. ومع ذلك، فإن نتائج الرفض تظهر عند وقوع كارثة أخيرًا عندما يشاهد نهر الأردن الحقيقي، بعيدا عن الكلمات والنصوص.

وبعد مرور عامين من وصول لازار الى المستوطنة ، ذهب برحلة مع الراوي الى الاردن، وهنا شاهد نهر الاردن الحقيقي بواقعه وبلا رتوش؛ الامر الذي سبب له الاحباط الكبير وجعله يميز بينه وبين نهر الفولغا:

"מבין ההרים אשר מועבר לירדן יצאה השמים, ומבעד לסבכים אשר לשמאל דרכנו הזהיר לנגד עינינו פלג מים, אשר יצא מאחד המחבואים ושוב נתעלם [...] הבטתי אל חברי. רק את קצה פניו ראיתי, את עיניו לא ראיתי; נטויות היו אל עבר פני הירדן. פניו היו חוורים ולא העזתי להציץ לתוך עינו [...] חברי לא הגיד דבר, רק תורת מרות כסתה את פניו, ועיניו הפיקו כאב עמוק [...] ידעתי, כי רגעים קשים נמנו לו. ידעתי כי נפשו ונטמיתר נתונות בצבת, ידעתי כי הוא מבקש את אשר לא ימצא לעולם. וידעתי, כי נפשו לא תדע עוד מנוחה" (Smilansky, 1947).

تبرز السماء من بين الجبال بعد نهر الاردن، ومن خلال التشابكات الموجودة على يسار طريقنا، حذر مجرى مائي خرج من أحد المغارات واخذ بالاختباء مرة أخرى [...] نظرت إلى صديقي. رأيت حافة وجهه فقط، وعيناه لم أر؛ كانت هناك ميول في جميع أنحاء الأردن. كان وجهه شاحبًا ولم أجرؤ على النظر إلى عينه ... ولم يتفوه باي كلمة، فقط اصبح وجهه كوجه المغشي عليه، وعيناه اخذت تصدر الالم العميق (...) كنت أعرف أنه يمر باوقات صعبة . وكنت أعلم أنه كان يسأل عما لن يجده أبدًا. وكنت أعرف أن روحه لن تعرف المزيد من الراحة.

عندما راى كلا من الراوي والخواجة أخيرًا نهر الأردن، اي عندما تتلاقى اللغة مع الواقع، انهارت ترجمة خواجة نزار للحقيقة. في الواقع، إن روحه ونفسه قد اضطربتا في اللوحة المذكورة في التوراة بين الحقيقة على الارض، وبين نهر الأردن التوراتي ونهر الاردن الحقيقي أمام عينيه. ويكشف نهر الأردن الحقيقي عن الفجوة في الترجمة: المصطلحان – الفولغا والأردن – غير قابلين للتحويل، ولا يمكن ترجمة أحدهما إلى آخر. إنهما مزيج من التعبيرين اللذين غرسا راحة البال لخواجة نزار، والاعتراف بالفجوة بينهما يقوض الهوية الذاتية الصهيونية التي حاول الاعتماد عليها.

ان الأزمة التي يواجهها خواجا نزار بعد رؤية نهر الأردن الفعلي هي أزمة لغوية. اذ يكشف هذا اللقاء عن شقاق بين اللسان باعتباره مقرًا للصور والمثل العليا القومية والمساحة الجغرافية التي

تحاول اللغة أن تأخذها كوجود وطني، وفشلها في تجاوز نفسه من أجل تغيير الواقع وفقًا للمُثُل التي يضعها من لتحديد الحقيقة كما هي بالفعل، و يتم عرض الصور النصية هنا كما هي، مما يعني أن الصور النصية المرتبطة بالبيئة كما هي، وهذا هو مصدر المأساة في القصة. في الواقع، تتناقض أرض إسرائيل مع النصوص الأدبية الصهيونية ونظيرتها في القصص التوراتية وترجماتها :فلا يمكن مقارنة نهر الأردن بمثيلاته الأدبية، ومحاولة وصفه من خلال هذه النصوص ، من خلال اللغة ، محكوم عليه بالفشل التام. في النهاية، حدثت أيضًا أزمة في قصة "خواجة نزار"، والتي تمثل أيضًا نهر الأردن و تمثيل آخر في سلسلة طويلة من التصورات الخيالية ، وحتى الكاذبة، والحقيقة التي كان يحملها. جميع هذه الامور قد اثارت علامة استفهام.

في يأسه خواجا نزار يسخر من نهر الأردن ويتحداه ؛ ويطلب منه إزالة الفجوة بين المثالي والواقع، بين اللغة والفضاء و يسأل بمرارة:

"האנסה לעבור בו ברגל?' (Smilansky, 1947).

هل احاول المرور من خلاله سيرا؟، وتجرد من ملابسه وقفز في النهر. اعترافه الجديد بالفجوة الكبيرة بين نهر الفولغا والأردن ، بين الصور الأدبية في الأردن وواقعه المادي، عندما يكشف ان:

"פה המים עמוקים [...] והזרם אשר בתחת חזק מאד. אפשר לטבוע על נקלה', הוא מחייך בשמחה, פניו 'מפוארים, צחוק אושר מרחף עליהם" (Smilansky, 1947).

بان المياه هنا عميقة [...] والتيار قوي جدًا. يمكن أن يغرق، "يبتسم فرحا " وجهه يملئه غبطة وسعادة".

ويستمر خواجة نزار في السباحة بين ضفتي نهر الأردن، حتى غرق في النهاية. وفقًا لمنطق القصة ، فلا عجب أنه ، قد مات وهو يحاول عبور الأردن. بعد ان اصيب بخيبة امل كبيرة .

قرأ الكثيرون من النقاد وفاة خواجة نزار مدحا لليهودي القومي الجديد، الذي يتمسك برؤيته الطوباوية ضد الواقع، والذي يرفض على ما يبدو الاستسلام وبتكلفة شخصية باهظة. وهكذا، رأى النقاد في الصور الأخيرة للقصة دليلًا على فشل الواقع في الارتقاء إلى مستوى حب وإيمان خواجة نزار. ومع ذلك، أود أن أزعم أن خواجة نزار لا يتحدى الطبيعة؛ انما المثل العليا المتمثلة بالصهيونية، ولكنه يناشد الطبيعة لإثبات هذه المثل، و فشل في تحقيق هدفه. ويبقى نهر الأردن على ما هو عليه - تيار صغير من الماء - وبالتالي يكشف عن سخرية القصة : يتغلب التيار البائس على الرجل المثالي ، حيث تغلب قوة الطبيعة الصغيرة على هذا الرجل شبه المثالي لليهودي القومي ، فلا يغرق لازار في نهر الفولغا العميق. بدلاً من ذلك، يموت خواجة نزار وفاة بائسة في نهر الأردن ، الأمر الذي يتناقض مع صورته النبيلة.

وعندما يأتي أفراد (حفرا قديشا) المتخصصة بدفن الموتى اليهود إلى المكان لإعداد جنازة خواجة نوار للدفن، يكتشفون دهشتهم أنه ليس مختونا اي انه ما يزال غرلا، وبالتالي فهو ليس يهوديًا وفقًا للتقاليد. بينما يناقشون ما إذا كان ينبغي عليهم دفنه أم لا، وبينما يحاول الراوي إقناعهم بالقيام بذلك ، يسحب تيار النهر جثة خواجة نزار وتختفي بعد ذلك. تشير القلفة (عدم الختان) إلى

وجود خلل أخلاقي، وانتهاك للعهد بين اليهودي وإلهه، وهذا العيب يزيل الخواجة نزار من المجتمع اليهودي بأكمله. وهكذا يكشف موته عن عيب أساسي يمنعه من تحقيق طموحه في المقام الأول في ان يصبح ابنا بارا للشعب اليهودي".

إن الأمر الذي يمنحنا بُعدا موضوعيا في إن حالة يهود روسيا وسط المحيط العربي كانت أكثر ودية مما هي عليه وسط اليهود الاشكناز. هو إن كاتبنا يعيش في دولة (إسرائيل) وخبر كلتا التجربتين . قد أثار الفرق النوعي شجون الكاتب وحنينه إلى فلسطين واصفا تاريخ يهودها وتراثهم الثقافي بشكل عام، ولا سيما فلكلورهم الذي ضمَّ جميع جوانب الحياة إلى درجة يمكننا القول إن من يريد معرفة فلسطين وفلكلورها فليقرأ نتاجات موشيه سيملانسكي.

ان فشل خواجة نزار في ان يصبح احد اليهود بالتاكيد نابع من بيئته الروسية المفككة . في وقت مبكر من القصة، يكشف لأحد الشخصيات أنه ابن يهودي مندمج وأم غير يهودية ، وربما مسيحية. وفقًا لذلك، بموجب القانون، لا يمكن اعتباره يهوديًا، حتى تتهود امه، ويجب عليه تعريف نفسه بأنه يهودي والتخلي عن الهوية المسيحية التي حصل عليها من والدته. يستجيب الأب متناقضًا: فهو يعارض هجرة ابنه إلى فلسطين، لكنه يرسل له مبلغ المال الذي يسمح له بشراء الأرض، ويصبح مواطنا هناك، وبالتالي يستبدل والدته "المثيرة للمشاكل" بالأم القومية. على الرغم من ذلك، لا يستطيع خواجة نزار احتضان الهوية غير اليهودية التي وُلد فيها، فهو يحطّ في البداية من والده البيولوجي، ويحقق هويته الأولية، على المستوى الوطني، كما يتجسد في نهر الأردن، يكشف عشق الأم بالتبني عن علامة الأم البيولوجية في جسده – القلفة – الصور الأخيرة في القصة لها العديد من الرموز المسيحية المرتبطة بحفل المعمودية. هذه الرموز ليس لها أي صلة بـ خواجة نزار مع والدته البيولوجية وقصص العهد الجديد لأول مرة على الإطلاق ومعمودية يسوع في نهر الأردن. استخدام الرموز المسيحية في هذه القصة له أهمية خاصة. نشر سميلانسكي قصته بعد شهر فقط من اندلاع حدث برينر. بدأ هذا الحدث بعد نشر مقال يناقش فيه برينر وباء الأنفلونزا. في مقاله، جادل برينر بأنه يمكن للمرء أن يتعاطف مع الهوية المسيحية دون أن يفقد هويته القومية اليهودية. كما قلل من أهمية كتب الكتاب المقدس وأكد على المكانة المركزية للعهد الجديد في تراثه الروحي. اثار هذا المقال ردود فعل كبيرة وانتقادات لاذعة من الاوساط الادبية والسياسية. واتهم برينر بالتنصل عن اليهودية والتشجيع على التنصر. وجاءت قصة "خواجة نزار" لتقرب وجهات النظر بين برينر وسيملانسكي؛ لذا فان كلا الاديبين قد جوبه بالنقد؛ فالاول لمقالته، والاخير لقصته. التي ظهرت فيها النهاية الماساوية والغرق في النهر. وهذا الغرق لم يغفر لخواجة نزار خطاءه، الذي يميزه عن اقرانه اليهود – عدم ختانه – وفي الحقيقة اذا اردنا ان نربط جذور لهذه القصة فانها تعود الى التوراة، والتي يعتبرها اليهود من العادات والتقاليد الواجبة على الفرد اليهودي . فعند رجوع موسى الى مصر واجه الرب الذي اراد ان يقتله، فاخذت زوجته (صيفورا) ابنهما (صور) وقطعت قلفته ووضعتها تحت قدمي موسى، وهنا فقد انقذت الاثنين. وهنا ربما اراد

سيملانسكي ان يعرض صورة اليهودي المندمج بافكار المسيحية وعدم التزامه بالعادات والتقاليد اليهودية بان مصيره الهلاك لا محالة (Rashid, 2018).

بالنسبة للعديد من الإيديولوجيين اليهود، خاصة المقربين من الاشتراكية، كان نجاح المشروع الصهيوني يعتمد على تحويل الهوية اليهودية، وتحويل الرجل اليهودي المنفي إلى مواطن جديد. حيث رأى العديد من النقاد القصة كمحاولة لتوثيق هذا الماضي. ومع ذلك، يبدو لي أن قصة خواجة نزار ليست قصة تحول، وبالتالي يجب على المرء أن يسأل ما إذا كانت شخصية خواجة نزار يمكن أن تكون بالفعل نموذجًا وطنيًا. لذا فان شخصيته تكشف الاغتراب والاشكالية، فمن جهة هويته اليهودية القومية مرتبطة بترك هويته المسيحية؛ على الرغم من جهوده الحثيثة في التحول الى المواطن اليهودي الجديد؛ الا انه فشل في النهاية . ومن ناحية اخرى لم يكن خواجة نزار محتاجا الى ان يصبح ذلك اليهودي الجديد؛ ذلك لتوفر فيه تلك الصفات : القوة، الجمال، حب العمل والوطن فضلا عن ولعه باللغة العبرية.

ويكشف موت خواجة نزار ضعفه: فجميع محاولات انقاذه قد باءت بالفشل . حيث يخبرنا سيملانسكي بذلك قائلا:

"כל שהוא יכול לעשות הוא לצעוק, וקולו מת בסביבה הרחבה" (Smilansky, 1947).

كل ما يمكنه فعله هو الصراخ، وضاع صوته في البيئة الواسعة.

لذا فلا عجب ان وجدنا الراوي مع اعضاء "حفرا قاديشا" مع اليهود المتدينين، يتطلع الى النهر بلا حول ولا قوة وهو يجرف جثة خواجة نزار بعيدا. وهنا تكون نهاية القصة نهاية مظلمة كالمتاهات والخسارات والخيبات للبطلين في الرواية (الراوي ولازار) اللذين قد أضاعا حبا وعوضاه بفكرة الانتصار للتاريخ والتراث.

الخاتمة

- إن الأدب العبري الحديث منذ نشاته في أوربا الغربية خلال العقود الأخيرة للقرن الثامن العشر وفيما بعد ازدهاره خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فصاعدا قد ركز على وصف يهود أوربا ولا سيما يهود بولونيا وروسيا. بينما بقيت الطوائف اليهودية العربية والشرقية منسية.
- تعد قصة "خواجة نزار" من اكثر القصص حيوية وعرض لشخصية اليهودي الجديد – اي الانسان العبري في فلسطين "اسرائيل"، والتي تشير الى نجاح المشروع الصهيوني الاستعماري.
- تعرض قصة "خواجة نزار" الفشل في التغلب عن فكرة وشعار الصهيونية "ارض حليب وعسل" الذي اقنعت به اليهود في العالم، اذ فشل "لازار" بطل القصة تحقيق حلمه الذي يهدف الى ازالة الفوارق بين نهر الفولغا في روسيا ونهر الاردن التوراتي

.

- ومن ناحية اللغة فشل البطل "لازار" في اتقان العبرية؛ ولكنه اتقن العربية بقواعدها وكذلك التزم بالعادات والتقاليد العربية وتنصل عن العادات والتقاليد اليهودية .
- ونجح سيملانسكي في هذه القصة من بث القداسة في نهر الاردن في نفسية البطل والقارئ على حد سواء (وذلك من خلال كونه الراوي في القصة) وبدون التاكيد او التشديد بكلمات مقدسة او ذات نبرة دينية.
- لا شك ان قصة "خواجة نزار" هي قصة تعرض مشكلة تطرق اليها الكثير من الادباء اليهود؛ وخصوصا الادباء ذوي الاصول العربية والشرقية. ومع ذلك ، فإن تقدير هؤلاء الكتاب للثقافة العربية لا يزال صاخبا، ويمكن الإعجاب بهم لشجاعتهم وكرم ضيافتهم وارتباطهم بالعربي وبالأرض – وتعتبر هذه الخصائص الجسدية للأيديولوجيات اليهودية الأصلية التي يطمحون في إنتاجها. توصف الثقافة البدائية والعنيفة والمتحضرة التي تنافست مع الصهيونية على تلك القطعة من الأرض ، أن إحدى هذه المهام التي تواجه العديد من الصهاينة هي جعل هذه الثقافة غربية حديثة من خلال استيطان اليهودي في المنطقة.
- إن الرحلة إلى الأردن في قصة سميلانسكي ، هي محاولة للعودة إلى حقبة تاريخية من تاريخ اسرائيل ومحاولة احياء اللغة العبرية – وهذا بالطبع هو طموح يهودي وطني – لإعادة تأسيس العلاقة بين الأمة اليهودية وفلسطين.ولا يمثل الأردن هوية خواجة نزار، ولكن أيضًا على العلاقة بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل. لذلك، فإن فشل تجربة خواجا نزار يثير الشكوك حول إمكانية الاستيطان في إسرائيل من قبل الحركة الصهيونية.
- خواجة نزار هو مواطن يهودي من اصل روسي . و خلال الهجرة إلى فلسطين، يسعى إلى أن يصبح يهودي حقيقي وخادما للوطن اليهودي الجديد، لكن يبدو أن تدخله واندماجه مع العرب جعله عربيًا في أرض إسرائيل ، بعيدًا عن اقرانه اليهود. في نفس الوقت، ما يزال منتميا الى نظام السلطة القومي اليهودي المسيطرة على الأرض؛ وموت شخص غريب للبلاد متعاطف مع سكانها الأصليين؛ تعتبره دائمًا يهوديًا متخاذلا.

BIBLIOGRAPHIC REFERENCES

1. Rasheed, A. M., & Zoba, A. A. D. (2018). Arabic language and its impact on the Israeli slang. Journal of Babylon Center for Human Studies, 8 (3), 293-322.
2. Aour, B. (1972). *The History Of Modern Hebrew Literature*. Tel Aviv: Izraeel Publishing House.

3. Dom, R. (1982). The Arable Hebrew Prose. London: Longman.
4. Dom, R. (1982). The Arab in fact and fiction as reflected in the works of Moshe Smilansky (1874-1953). *Jewish Quarterly, 29 (4)*, 3-7.
5. Dubnov, A., & Harif , H. (2012). Zionisms: roads not taken on the journey to the Jewish State. *Maarav, April 29.* Retrieved from http://maarav.org.il/english/2012/04/29/zionisms-roads-not-taken-on-the-journey-to-the-jewish-state-arie-dubnov-hanan-harif/
6. Halkin, S. (1974). Modern Hebrew Literature. New York: Schoken Books.
7. Magnes, J. L., Reiner, M., & Samuel, L. (1947). Palestine, Divided or United ?: the Case for a Bi-National Palestine before the United Nations. Jerusalem: Ihud (Union) association.
8. Ramraz-Raúkh, G. (1989). The Arab in Israeli literature. Bloomington: Indiana University Press.
9. Rasheed, A. M. (2018). أحببتكِ كي نفترق" قراءة في رواية "جدار حي" لدوريت" رابنيان ["I loved you to break" a reading in the novel "Living wall" by Dorit Rabinyan]. *Eurasian Arabic Studies, 3*, 55-72.
10. Rashed, A. M. (2018). The ugliness complex in Yosef Haim Brenner literary (Selected Models). *Annals Of Adab Ain Shams, 46 (October - December B)*, 74-90.
11. Rolnik, E. J. (2012). *Freud in Zion: psychoanalysis and the making of modern Jewish identity*. London: Karnac Books.
12. Schwartz, Y. (2007). *What to see from here: issues in historiography of new Hebrew literature.* Tel Aviv: Dvir Publishing House.
13. Shaanan, A. (1978). *Dictionary Of Modern Literature*. Tel Aviv: Yavne Publishing House.
14. Shaked, G. (1977). The Genre and its parts: considerations of the fiction of Moshe Smilansky and Nehamah Pukhachewsky. In *On Poetry And Fiction: Studies In Hebrew Literature*. Tel Aviv.
15. Smilansky, M. (1947). Huja Nazar, all writings of Moshe Smilansky, Part III. Tel Aviv: Am Oved.

معلومات عن المؤلف	Information about the author	Информация об авторе
معيد علي محمد رشيد قسم العبرية جامعة بغداد	Teaching Assistant Ali Mohammed Rasheed Hebrew Department	Ассистент Али Мохаммед Рашид Кафедра Иврита

رشيد، علي محمد. (2020). بين اللغة والوطن: قراءة في قصة "خواجا نزار" لموشيه سميلانسكي. الدراسات العربية الأوراسية، ٩، ص ص ٢٩-٥٠.

Багдадский университет
Багдад, Республика Ирак
al_20_al2005@yahoo.com

University Of Baghdad
Baghdad, Republic Of Iraq
al_20_al2005@yahoo.com

بغداد ، جمهورية العراق
al_20_al2005@yahoo.com

الكشف عن تضارب المصالح: *يعلن صاحب البلاغ عن إنعدام تضارب المصالح.*

Раскрытие информации о конфликте интересов: *Автор заявляет об отсутствии конфликта интересов.*

Conflicts of Interest Disclosure: *The author declares Conflicts of Interest Disclosure.*